

عين في النهار

قصة بقلم يوسف كرو

قلت بصوت باهت :

— أريد تذكرة ذهاب فقط .

ثم القيت ورقة نقود كبيرة ، ووقفت أنتظر . مسح الرجل المعجوز نظارته الطبية ، وبخلق في دون كلمة . أرسل اصبع يده اليمنى ليهرش جلدة رأسه . وأخيراً نطق وعلامات استفهام متشابكة تتلون في وجهه :

— تذكرة ذهاب ! إلى أين ؟ ما اسم المدينة أو المكان ؟

— إلى مكان تختاره انت . أريد أن اعتنق من جديد ، لارى الحياة من جديد .

صمنت حركات الرجل المعجوز . هدأت عيناه خلف نظارته الطبية . لم اعرف ما الذي كان يفكر به . ابتسم ، وفكر قليلا ، ثم مد اصابعه كلها ليتناول تذكرة صفراء صغيرة ، وقال بصمت تخللته نبرات ملونة :

— المكان اسمه « آرابش » . منذ أكثر من عام ، عم فيه هزال .

ستتقضي وقتا ممتعا هناك .

محطة القطار سوق دائمة الحركة . قصاصات ورق تتطاير في زوايا متفرقة . القطارات تقف صامتة مذهولة ، كحيثان بحرية خرجت من المحيطات الداكنة . وجه نحيل يرتدي حذاء يضحك بلعمان . طفل يضم وجه امه بخوف ، وفتاة سمراء تقف وحيدة ، افترست ساعات الانتظار عينتها المتعبين . سفير يقني بصوت مخمور . شرطي يحاول ان يلجم صوته . سفارة مطوطة تعلن عن تحرك قطار جديد . انسان قصير القامة ، يتبعه جمال يحمل حقيبة ثقيلة ، وانا احمل تذكرتي وهويتي ، وصورة وجهي ، وافكار كثيرة تدور في عقلي . قطاري يربض دون حركة ، كنيب عليه باحرف كبيرة « آرابش » .

لم اسمع باسم هذا المكان من قبل : انا رأس يحمل شعرا كثيفا لا اربغ في حلالته . ملامح وجهي غير متماسكة ، رخوة . فيها آثار ضعف شخصي . في الثامنة والعشرين . درست سنوات ستا في جامعة لها قبة ضخمة ، منحني شهادة عليها طابع حكومي وتوقيع وزير . فامني طويلة وغير رشيقة ، ففي الظهر انحناء بسيط . حين تخرجت عملت في صيدلية ادوية ، فانا صيدلي . ارتديت ثوبا ابيض . ووقفت الساعات الطويلة خلف حاجز خشبي . اقرأ الوصفات الطبية بكتابتها السيئة المتعمدة ، وادلف كالاجير الى مؤخرة الصيدلية ، ثم اخرج بسرعة لاعطي الدواء . انا لم اخلق لثل هذا العمل . بدأت افكر في الحل الحياتي لتقصيتي الضبابية .

وانا في الجامعة امنت بالتورة وبالسفاح العباسي والحجاج وجيفارا . دريت نفسي على المناقشة المنطقية الطويلة ، فانا صاحب قضية ، اريدها ان لا تموت . فالثورة حق وقوة ، والثوار يجب ان لا يموتوا . كنت نائرا . ارحبت لحية سوداء لم اهدبها . قرأت عن حروب التحرير ، واعجبني بونو نسي تونغ وهو شي منه ، وبفيلسوف « فيفا زابانا » ، وكنت احمل على الاكتاف وقت المظاهرات .

اريد ان اضع حدا لايامي الحالية . اعيش مقيدا بخيوط صمغية الى مدينتي ، مدينة المقاهي والذباب . محارتي انفلتت علي لم ترد ان تدمني انفلتت منها بخفة ، كقط هارب من مصيره ، ليصنع مصيرا آخر من تفكيره . وبدأت اعيش التعاسة ، فقد رأيت الحياة تتسامى في ،

ثم تسقط حيث لا اجدها .

منذ ايام قال لي صديق بصوت ساخر :

— لماذا لا تذهب الى مكان بعيد بعيد حتى تشاهد الهدف ؟

وقال قاطع التذاكر وهو ياخذ تذكرتي عند الباب :

— مكانك هذا حل فيه الخراب منذ اكثر من عام .

وسرت قامة طويلة وغير رشيقة عبر رصيف القطار ، ابحت عن عربة خالية . العربات كلها خاوية الا من الصناديق الملاى بالطعمة المحفوظة . سائق القطار الشاب يمد رأسه ليرى علامة البدء بالحركة . لا حقيبة تتأرجح من يدي . وبان القطار خمس فقط . قطاري حوت ولد قرما . سألت السائق بلهجة هادئة :

— كم ساعة ستأخذ الرحلة الى « آرابش » ؟

— ثلاث ساعات ونصف فقط .

دلقت الى اول عربة وجلست على مقعد وثير . رأيت وجهي في المرآة المقلبة ، ابتسمت لنفسي بسرور بالغ ، فقد انطلقت بلا قيود نحو الرحلة المجهولة . اخرجت لفافة تبغ وبدأت ادخن بنهم . لا ادري من قال لي يوما :

— البقاء صعب ، واثينا يكون الرحيل صعبا مثله .

ومنذ ذلك اليوم ، وافكار الرحيل تزخر في رفات قلبي ، وتورق الياسمين في عيني الشاحبتين . ان ارحل لهو افضل من البقاء هنا ، اثرثر حتى مطلع الفجر في مقهى زجاجي . فالامور الحياتية في مدينتي تبدو تافهة بعض الشيء . ينبغي ان افهم نفسي قبل كل شيء . اذكر مرة انني قرأت رواية روسية ، شدت حواسي كلها الى جملة بسيطة فيها . الجملة قالت لي : « ذلك الذي يسير لا بد بالغ آخر الطريق . » وبحثت عن طريقي طيلة الشهور والايام والساعات المضية . ونبتت الطحالب فوق الجبين ، وجفت مياه العيون ، وتوالد العذاب الشوكي ، وسحقت كورقة جفت الحياة فيها وتساقطت كالوت . كنت احس بان التهمة تقع علي بمفردني . تهمة البعد عن العمل الحقيقي ، من اجل خلق النفس في الداخل . العالم ما زال مستمرا في حركته ، رغم الاكاذيب والصور البراقة والجثث البعثرة فوق رمال الصحراء المحرقة . الناس تدور في الشوارع كالضفادع ، وتضحك وهي تاكل وتضاجع كل ليلة . من قال ان العالم ستحل فيه اللعنة عندما يموت انسان ؟ لن تتوقف دواليب السيارات والباصات حين يهاجمني كساح موقت ، فاقعد في سريري حزينا ، يخرج مني النباح والعيول .

انا احاول دوما ان التقط الاشياء واحتفظ بها ، وعندما افلتتها او تنفلت مني ، لا تسقط في هوة ، بل تبقى هناك تعيش في .

مرة قالت لي وهي تبكي بلا صوت :

— لن تموت ايامنا ما دام يشع منها بريق .

كنت اسميها بفرحي الكبير . كانت في الثانية والعشرين يوم تزوجت . عاشت معي اربع سنوات طوال ، وكان مساء يوم الجمعة عندما سرت على اطراف اصابعي وانا اخترق أسرة المرضي المكندسة في القاعة الكبيرة ، لاصل الى سريره . لم تبسّم لسبي كعادتها . كانت تبكي كسماء المسنن الكثيية . جلست بجانبها منكمشا على نفسي وقلت بلهجة مرحة :

– ماذا قال الطبيب ؟ متى ستخرجين من هنا ؟

أجابت والدموع تنهمر كحنفية ماء :

– يجب أن تساعدني ، فأنا لا أريد أن أراك مرة ثانية . يكفي
إننا عشنا معا كالتزوجين لمدة طويلة . أنت لن تتزوجني . أنا أريد
بيتنا وزوجا وأولادا . عشت سعيدة معك . كنت صغيرة عندما عرفتك .
تكلمنا كثيرا عن الفراق ، يجب أن نكون أقوياء ونقرر القرار النهائي .
ساعدني أرجوك ، كن بجاني ، أعني ساعدني على التخلص من قيودك .
كن بجاني كصديق فقط . أرجوك يا حبيبي أن لا تأتي لزيارتي غدا .
أذهب من حياتي ولو لفترة . سأتي يوما لأجمع حاجياتي الموجودة
عندك . أنت ما زلت حياتي ، ولكنك لن تصنع مستقبلي . لا تقبل
وداعا ، بل الى اللقاء كصديقين ، ستكون الصديق الوحيد .

وخرجت دون أن التفت . كانت الشوارع هادئة ، والبرد يلسع
الوجوه ، ورأسي يتقلص حتى يلامس باقة المطف ، وهي فوق سريرها
تبكي حبا وهبها ولدين ، ثم قتلها . أنها تعلم بزواج وبيت وأولاد ،
دون حب ، فيكفي أنها أحبت وما زالت . أما أنا فلن أدري ما الذي
سأفعله . فقد جف اخضرار الايام السابقة ، وخدمت الحركة فسي
البيت ، حيث كانت هي ، لا غيرها ، فرحه الكبير .

منذ يومين فقط ، وقفت سيارة صفراء فارهة بجاني ، وأطل
منها وجه أعرفه جيدا . كان وجهها ، وبجانيتها الزوج الشاب . قالت
والدموع تقسل حوافي عينيها :

– كيف أنت يا حبيبي ؟ كيف حيائك ؟

قلت بصوت أعدم فرحه :

– كوني سعيدة ، فأيام السعادة قصيرة جدا .

وانطلقت السيارة بسرعة كطائرة صغيرة ، وخلفتني وحيدا
في شارع تساقطت أوراق أشجاره . الكل يصنع حياته . أنا لم
أصنع حياتي بعد . التهمة تقع علي وحدي . انفلتت كل الاشياء
مني ، ولم يبق منها الا أنا ، وأخاف أحيانا أن تنفلت هذه الانا مني .
قال لي صاحب المقهى :

– لماذا لا تعمل مع الآخرين هناك ؟

قلت وأنا أبعد عيني عن وجهه :

– وأين يعمل الآخرون ؟ ولحساب من يعملون ؟

– يعملون هناك فوق الأرض ، ومن أجل الغداء فقط .

والقبت ضحكة سمجة لها رائحة . أتبعتها بتدخين لفاقة
تبغ ثقيلة ، ثم قلت لصاحب المقهى :

– الغداء يعني التضحية بكل شيء ، كل شيء دون استثناء ،
وأنا لا أملك شيئا لأضحى به ، حتى نفسي .

عاد صاحب المقهى يقرأ جريدته اليومية بصوت مرتفع :

– « الحياة هي أتمن ما يملك الإنسان ، وهي لا تعطى له كي
يعيشها سوى مرة واحدة . ويتبغى له أن يعيشها بحيث لا يشعسر
بالأسف المذب على السنوات التي ضاعت دون هدف . فإذا ما
عاشها بصديق يستطيع أن يهمس لنفسه وهو يموت : – أن حياتي
كلها قد وهبت لأشرف قضية في منطقتنا ، وهي الغداء » .
توقف صاحب المقهى عن النظر الى جريدته لحظات ، ثم قال
وهو ينظر الي :

هل سمعت هذا الكلام ؟ قاله انسان يعمل في الجبال هناك .
صفوف الغداء لن تقبل امثالك من الشباب . انتم لعنة ثرثرة فقط .
نظرت الى ساعتني . نصف ساعة وأصل الى « آرابش » لارى
كيف يعم الهزال بالامكنة . الهزال الفكري حل في منذ اكثر من
عام . لماذا أتساءل دوما ، دون البدء بالعمل ؟ الدودة المقتتة تاكل
من قلبي ، وتحواله الى ثقب من عجيب . كيف ذهب الشباب دون
سؤال ؟ ولكن من قال انهم لم يحددوا الهدف ؟ لم لا يولد الانسان
بههدف جاهز ؟ الاهداف يصنمها قدرنا . هذا صحيح ، ولكن من قال
هذا ؟ ربما أنا قلتها في لحظة كتابة عقلية .

طرق باب عربة القطار . قال رجل بعينين خامتين :

– قهوة أو شاي يا سيدي ؟

ودون أن أفكر قلت :

– قهوة سادة من فضلك .

أغلق الباب بأدب ، وبقيت أنتظر عودته . كم تمنيت لسو
اشترت جريدة أو اصطحبت كتابا ، فالرحلات بفيضة ان كنت وحيدا ،
والاشجار لا تنمو بمفردها ، والناس لا يعيشون دون أصدقاء وعائلات
وابتسامات .

وقف القطار . أخرجت رأسي عبر النافذة الزجاجية العريضة .
قرأت اللوحة الكبيرة « آرابش » ، هذا هو المكان . فركت يدي ،
وسرت لاضع قدمي فوق أرض المحطة . المحطة خالية لا وجه فيها .
نظيفة جمعت أقدارها . الاسهم تشير الى باب الخروج . نزلت درجات
عدة ، ثم صعدت سبع درجات ، واستقبلت بعيني النهمتين شارع
المدينة العريض . ساعة الميدان العتيقة تشير الى الثالثة والرابع .
النهار ما زال صيبا لم يهاجمه الشيب . سأختار غرفة في طرف
المدينة ، لاراقب الناس والمحلات ، وأراقب نمو نفسي من الداخل .
النقود كثيرة في جيبي الخلفي . أخذت راتبتي الشهري بالامس .
لا أملك عائلة لاصرف عليها . مسؤولياتي المالية محدودة . سأشتري
بعض الملابس من هذه المدينة . أريدها أن تعيش في قبل أن تنفلت
مني ، كما انفلتت كل الاشياء في السابق . لن يشعر أصدقاء المقهى
بغيابي ، فحياتهم غيبوبة ثرثرة معادة . صاحب الشقة التي أعيش فيها
سيحس بغيابي ، فلم أدفع له أجرة الشهر الماضي . صاحب الصيدلية
سيرسل سائقه للسؤال ، ستصيه الدهشة حين يعلم بسفري .
المدينة هذه تبدو ميتة . الموت ما زال حيا فيها ، فمنازلها نظيفة من
الخارج ، ومتاجرها تعرض البضائع المختلفة المستوردة . وقفت أمام
متجر لانتقي ربطة عنق مزركشة . طالعت وجهي في واجهة المتجر .
كنت غريبا عن نفسي ، كان الوجوه تتغير بتغير المكان . أسعار المتاجر
غالية جدا . لم أر وجهها بعد . أين وجوه هذه المدينة ؟ سخر مني
الرجل العجوز وهو يهرش جلدة رأسه ، فالكان لم يعم فيه الهزال .
الشوارع نظيفة ، والمتاجر عامرة ، وأشجار البيوت تقني بصفساء ،
والساعة العتيقة تعمل بدقة وانتظام .

دراسات أدبية

من منشورات دار الآداب

● من أدبنا المعاصر

● للدكتور طه حسين

● قضايا جديدة في أدبنا الحديث

● للدكتور محمد مندور

● مشكلة الحب

● للدكتور زكريا ابراهيم

● تجديد رسالة الفران

● لخليل هنداوي

● دراسات في الادب الجزائري

● لابو القاسم سعد الله

● بابا همنفواي

● لهوتشتر

● الادب المسؤل

● رثيف خوري

فجأة شعرت بالوحدة ، فهذا الشارع الطويل بيوتته ومتاجرته ومطاعمه لا يضم وجهاً غيري . بدأت أستمتع الى وقع خطواتي فوق الرصيف المهجور . أظن ان أهل هذه المدينة ينامون بعد وجبة الغداء . ستدب الحركة في الشارع وفوق الارصفة بعد قليل . سابتسم لكل وجه . قد أجد وجهاً يحبني لكي أحبه ، فالحب أرض خصبة تزهو ورقاً وزهراً ونمراً ناضجاً . قد أفتح صيدلية صغيرة في منعطف

هذا الشارع . أنا غير واثق ان كنت قد أعجبت باسم هذا المكان . « آرابش » ، أحرف الكلمة لا رنة موسيقية فيها ، ما زلت أتفلسف كعادتي . غريب ، أشعر ان هواء هذه المدينة ثقيل على رئتي . أحس بالجوع ينخر في معدتي كالنشار . سأبحث عن مطعم ، سأفرش طاولتي بعدة صحون ، سأطلب نبيذاً أحمر ، وعندما أنتهي سأطلب براندي وقهوة سادة . قهوة الفطار كانت رديئة لا طعم فيها . سوف أسأل صاحب المطعم عن غرفة للايجار تقع في طرف المدينة . لن أترث طويلاً مع الناس هنا ، فانا الزائر الوحيد لشوارعهم . القطار لم يحمل أحداً غيري . سأبدأ بالبحث عن مطعم ، سأدخل أول مطعم يقابلني . يجب ان أدخن ، فالتدخين يساعدني على التفكير . كم تمنيت لو ان مدينتي تتسم بالهدوء مثل « آرابش » . بحثت عن لفافة تبغ ، لعنة عليك أيها الحمار ، لقد التهمت كل اللفافات . سأشتري علبة تبغ كبيرة فاخرة . آه ، هذا محل لبيع التبغ . دفعت الباب الزجاجي المتحرك ، ودلفت الى المكان . آه ، ما هذا ؟ كذفت بجسدي الى الشارع من جديد . هل أنا أحلم ؟ فكرت عيني بأصابعي كلها . لا ، هذا غير صحيح . الموت ما زال حياً حتى في المحلات الصغيرة . أنا متأكد انني مصاب بالحمى سأجرب محلاً آخر ، هذا محل جديد . دفعت الباب واندفعت الى الداخل ، وكذيفة خرجت من جديد الى الشارع المهجور . هل أستطيع ان أرى حلين مرتين متتاليتين ؟ وأصابني الجنون ، فبدأت أضرب أبواب المحلات بقدمي ، وأطل داخلها ثم أخرج لهاثاً يتصبب العرق من جيبني . المكان يعمه الهزال . كيف تتحول مدينة كاملة الى هذه الاعجوبة المضحكة ؟ . سأقتل الرجل العجوز وأسحق نظارته الطبية بقدمي . من طلب منه ان يختار لي هذا المكان ؟ بدأت أنفوس بصموية ، لا مطاعم في هذه المدينة ، وكيف ياكلون ؟

قال سائق القطار الشاب قبل ان أغادره :

— هناك قطار يأتي الى « آرابش » كل يوم .

علي ان أبقى هذه الليلة هنا . ولكن أين ؟ وكيف . قد تلتهمني وجوه سكانها . سأهرب ، سأخفي في كهف او فوق شجرة اغصانها مظلمة . أنا لم أصب بالجنون بعد . وبدأت اركض كحصان سباق ، وبدأت الوجوه الحيوانية الغريبة تطل من خلف زجاج المحلات وفجأة ، وأنا اخترق الشوارع ، بدأت أبواب المحلات تفتح وتخرج القمامات الانسانية بوجوهها الحيوانية المختلفة وترفض خلفي . لن ادعهم يقبضون علي . كيف حل الخراب بهذه المدينة؟ انفاستي تخرج بصموية . أنا الهث كائني اموت . قامات سكانها مثل قامتي ، اطرافهم مثل اطرافي ، ولكن وجوههم ، وجوه حيوانات مختلفة . أنا متأكد انني قرأت اسم المكان قبل ان انزل درجات القطار . رأيت من قبل وجوها مقنعة باقنعة حيوانات ، ولكن وجوههم غير مقنعة ، بل هي حقيقية . اسمع وقع اقدامهم خلفي ، كثيرة ومتعددة ، وانفاسهم تلفح رقبتني من الخلف . شعري تتطاير خصله الطويلة في الهواء . الخوف يهرس امعائي . وصلت ميدان المدينة الواسع . كانت قاماتهم ، بوجوههم الحيوانية تسد منافذ الشوارع المحيطة . وفجأة اصابني الشلل فتوقفت في مكاني انظر اليهم عن قرب ، بعينين مشدوهتين . هذه القمامة تحمل وجه ثعلب يجري مخاطه من فمه . تلك القمامة القصيرة هناك تحمل وجه دجاجة سمينة ، وأخرى بوجه كلب شاحب ، ورابعة بوجه عصفور يرفرف بنشاز . ولكن معظم الوجوه تحمل وجوه خراف بيضاء .

فجأة ساد الصمت الميدان والشوارع ، وانطلقت العيون الحيوانية

تقذف نظراتها الى قامتي ووجهي الانساني بلامحه الرخوة . قمامة تحمل وجه قطة سوداء بدأت تشمشم الارض حولي ، تبعها وجه كلب بوليسي ضخم ، نبح الكلب البوليسي ، فتقدمت الوجوه الحيوانية ثلاث خطوات . شعرت بانني مطوق . يجب ان استسلم ، فلا مناص من المقاومة . برز وجه يحمل وجه اسد كهل علاه الشيب . عيناه قويتان ترسلان ناراً لاهبة . تفحصني بامعان ودار حولي دورتين ، ورفع اصبعه ، واعطى إشارة ، فتقدمت ثلاثة وجوه لكلاب بوليسية،واقنادنتي الى بناية البلدية ، وهناك وقفت أنتظر سماع لفتهم .

قالت دجاجة بلقة مثل لفتي :

— احرقوه حياً وقدموه طعاماً لذئاب المدينة .

واطلت وجوه ذئاب اربعة ، واخرجت السننثا الحمراء وبدأت تلعق بشهية .

وجاء صوت خروف ابيض يتكلم بلقة مثل لفتي :

— ليذهب الى السهول ، ويجمع لنا الضب الاخضر ، ليعمل كاجير .

وتقدمت وجوه الخراف العديدة ، لم تكن ودیعة ، كانت شريرة عيونها تقذح شرراً ولؤماً .

نبح كلب بوليسي بلقة مثل لفتي :

— سترسله للتجسس على البيوت ، فالبعض ما زال لا يؤمن بطريقة حياتنا الجديدة ، ويفكر باشغال ثورة على الحكم في مدينتنا . اطل وجه الاسد الكهل بشيبه وعينيه القويتين ، وطلب من الجميع ان يصمتوا . ايقنت بان هذا الوجه ، هو قائد هذه المدينة . كانوا يتحدثون جميعاً بلقة مثل لفتي ، ولغة الناس في مدينتي الثرارة . وقفت العيون جاحظة تنتظر حديث القائد الذي كان اسداً ، اقمده الكهولة .

قال موجها حديثه الي :

— اسمع يا صديقي ، منذ أكثر من عام حلت بنا هزيمة ، كنا نشعر بأنها ستكون انتصاراً ، ومنذ أكثر من عام نسفت منازل هذه المدينة ، وتبعثرت جثث الشباب فوق الارصفة ، واحترقت مئات الدواليب والعرابات ، وتنف الريش من اجساد طيورنا الحاربة. كانت السماء بلا مظلات ، وهطلت حجارة ثقيلة ، وماتت طيورنا في اوكارها. اؤكد لك باننا كنا دولة قوية بجيش عظيم . ولكن منذ أكثر من عام حل فينا الخراب ، وعمت ديارنا الهزيمة ، وحط الهزال في عيوننا ، فعلى بعد خطوات منا ، قامت مدينة بالقوة وهاجمتنا ، وسحقت تاريخنا وبصقت عليه ، وكتبت التاريخ كما ترغب ، فهي المنتصرة . الحرب يا صديقي لم تستمر طويلاً ، كانت كومضة الشرارة . انتهت قبل ان نشعر ببدايتها ، واصابنا دوار ولم نعرف الحل ، وتخططنا في دوامة ، وقامت فئة من الشباب تعمل للغداء ، وقامت فئات اخرى تطلب العيش بآمان ، و ...

قطعت حديثه لاسال بلهفة :

— هل تعرفون معنى الغداء هنا ؟

فاجابني وجه نمر شاب انحسر شعره عن مقدمة وجه . افسحت الوجوه طريقاً له عندما تقدم نحوي :

— نعم نعرفه ولكننا لا نزاوله لآيماننا بعدم جنواه .

عاود وجه الاسد القائد ، كلماته الي :

— وزارنا خبير عدة مرات ، وقدم لنا آلة ستراها عما قريب ، واقترح ان نجلس خلفها لساعات فقط ، وبعدها نتحول الى حيوانات، اعني وجوهنا تتبدل الى وجوه حيوانات . كل حسب نفسيته واخلاقه. واعجبنا بالفكرة ، وكنت اول من جلس خلفها ، وبعد ساعات لبست هذا الوجه ، فشعرت بالسلام يعم رأسي ويخمد حركة تفكيرتي ، وبدأ الناس يتحولون ، وكما ترى فهنا الخراف والدجاج والثعالب والكلاب والقطط والثعابين السامة وغيرها ، كما كنا سابقاً قبل ان نتحول ، فمثلاً نحن لا نخاف من القمامة التي تحمل وجه خروف ، فالنفسية التي يحملها نفسية منقادة ، تسير خلفنا بسهولة ، أما الثعابين فنحن

لا نستمتع الى كلماتها فهي سامة تريد سريان السم فينا فقط ، و ..
فجأة اقتحم وجه النمر الشاب ، الوجوه الحيوانية المحيطة بي،
وقال :

– انا احمل وجه نمر ، فانا شجاع ، ولكنني آمنت ان الشجاعة
يجب ان تكون لخدمة مدينتنا ، فطلبت السلام . المدينة المعتدية لا
تهاجمنا الان ، ونحن لا نقدر على نطح حدودها بقرونا . لا نريدك ان
تبقى محتفظا بوجهك الانساني هذا ، فستكون كاللعنة على سلامنا ،
كالشباب الذين يعملون من اجل الفداء ، والذين يعيشون فوق الجبال
والروابي المحيطة بحدودنا . لا نريدك كالطاعون الذي يزرع الموت في
شوارعنا . سنجلس خلف الآلة ، حتى تلبس وجهها حيوانيا . سنرى
نفسيتك التي تحملها داخلك . لن نستطيع خداعنا طويلا .

وتوقف عن الحديث ، و اشار بيده اليمنى ، فتقدمت كسلا ب
بوليسية اربعة ، واقنادني بقسوة الى قاعة البلدية، بين غناء الدجاج
والقطط والعصافير والخراف . وضربني خروف ، فحاولت ان احتج،
فهمس كلب بوليسي :

– حاول ان لا تستعمل عينيك جيدا . كن مثلنا ، نحن لنا عين
واحدة في النهار فقط . عيوننا تنام في الليل . عندما كنا رجالا ،
كنا نستعمل عيوننا كلها ، اما الآن ، فنحن لا نستعمل عيين كالاخرين.
يكفي عين واحدة في النهار .

كانت الآلة الضخمة تطف شامخة في قاعة البلدية . ارجلها
وسواعدها متشعبة عديدة ، في اعلاها تنتصب اربع عيون كهربائية ،
تخطف البصر ، وفي الخلف مجموعة من المقاعد المخملية الزرقاء
المریحة . اختاروا لي مقعدا ، واجلسوني بالقوة ، وتراجعت وجوه
الحيوانات ، وجاء وجه ثعلب عجوز فاحت رائحته القذرة . ضغط
على زر كهربائي ، وبدأت العيون الكهربائية بالحركة. شعرت بالحى .
بدأت حواسي تتعطل تدريجيا . ساطهر على حقيقتي . سينبت الوجه

الحيواني مكان وجهي . عشت الحياة جيانا انفسك واثرت واعجب
بالاشياء فقط . لم استطع الاحتفاظ ببريق حياتي ، تفلست بفكرة
التقاط الاشياء حين تنفلت مني . لم اذافع بشدة عن شيء . لم اعرف
المسؤولية ، حياتي كانت بحيرة كلمات .

نبتت شوارب عديدة ، رفيعة وطويلة فوق شفتي العليا ، اصبح
وجهي نحيفا جدا ، صرخت :

– ايها الحيوان القابع في داخلي لا تكشف عن وجهك ، انا احمل
وجه فار جبان ، انا لعنة ثرثرة .

يجب ان اهزم سلام هذه المدينة ، وجه الفأر لم يبدأ بالتكوين
بعد ، وجدت الهدف ، ساهرب من مدينة الهزال والخراب والامان ،
ودبت في قوة اندلسية . الفداء هو التضحية بكل شيء ، كل شيء
دون استثناء ، انا امك نفسي الآن . لا اريد ان تكون لي عيسن في
النهار ، اريد ان تبعث مئات العيون مني . الشباب يعيشون فوق
الجبال والروابي ، ساركض حتى ارتمي بينهم ، لا اريد ان ابقى في
« آرابش » ، مدينة الامان ولعنات التاريخ على تاريخي ، ساقتل الرجل
العجوز واسحق نظارته الطبية فهو جاسوس متعاون .

وقفت باعجوبة ، وانطلقت اعدو فسي الشوارع ، والكلاب
البوليسية تلاحقني ، اسمع نباحها يخترق طيلة اذني ، واصوات
الخراف تصاحب عملية الركن ، متشابكة كأننا في مظاهرة :
– دعوه يجمع لنا العشب الاخضر ، دعوه يعمل كأجير .

الكلاب البوليسية تنطلق خلفي كاسهم نيرانية ، وانفاسها تحرق
جلدة رقبتني ، والسهول المحيطة بالمدينة تثبت الخضار والاشجار
والزيتون. ساقول للشباب هناك، ان لم تقبض علي الكلاب البوليسية:
– لن تموت الايام ما دام فيها بريق ، والفداء هو البريق الوحيد
في ايام الهزيمة اللعينة .

يوسف شرورو

لندن

المؤرخ البريطاني الشهير
ارنولد توينبي

الوحدة العربية آتية!

عرف المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي بتعاطفه مع العرب وتأييده لقضاياهم . وان مواقفه من
اسرائيل وعدوانيتها وعنصريتها لا تزال في الاذهان .

وفي هذا الكتاب يتنبأ توينبي بان الوحدة العربية لن تستغرق من الزمن حتى تتحقق ما استغرقته
الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية ، ولن تنحرف مثلها ، بل ان سنة ١٩٧٤ هي الحد الاقصى (كما يقول
توينبي) لاشراق نور هذه الوحدة العربية .

ويتحدث المؤرخ البريطاني عن العقبات التي تعترض الوحدة العربية والوحدة الافريقية ، ولكنه يؤكد
ان هذه العقبات ، ومنها مصالح بعض الافراد والاسر المستفيدة من التجزئة ، ستزول تدريجيا ، وان الوحدة
العربية قادمة قريبا ، وويل لمن تعميه مصلحته الموقته من ابنائها عن الحق ، وويل اكثر لمن يقف في طريقها ،
معاداة للخير ، من غير ابنائها ...

وفي هذا الكتاب المتع تأملات تاريخية طافت بذهن توينبي اثناء رحلاته الثلاث التي افرقت بلدان افريقية ،
شمالي وجنوبي الصحراء الكبرى ، وعرض دقيق لمشكلة السودان ونيجيريا ، واتلاف الاسلام والمسيحية
في الصحبة وتاريخ نهر النيل ، ووصف شيق لمنطقة « سد الجبل » في اعالي النيل وورشة « اسوان »
و « الجزيرة » في السودان ، مع زيارة الى غزة ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين واشادة بالخدمات التي
قدمتها مصر لتلك المنطقة . كل ذلك في اسلوب شيق ونفس انساني رفيع وروح دعم وتأييد للنضال العربي